

قضية التأويل في فكر صدر الدين ابن أبي العز الحنفي (دراسة تحليلية)

The issue of interpretation in the thought of Sadr al-Din Ibn Abi al-Izz al-Hanafi (analytical study)

Syed Muhammad Haroon Agha

PhD Scholar Faculty of Usuluddin International Islamic University Islamabad

Email: aghaharoon00@gmail.com

Dr. Abdul Wahab Jan

Head Department of Aqeedah & Philosophy Faculty of Usuluddin International Islamic University Islamabad

Email: abdulwahab.jan@iiu.edu.pk

Dr. Muhammad Shoaib

Associate Professor, FG Degree College for Men Peshawar Cantt.

Email: dr.shoaib315@gmail.com

ISSN (P):2708-6577
ISSN (E):2709-6157

Abstract

“Rational interpretation in the doctrine of Sadraldeen abn abi alizz alhanafi” (An analytical study.)Taweel (rational interpretation) is a special term in fiqh and Islamic theology (Ilmol kalam) of the later Islamic theologians. They use this kind of interpretation in certain places of the Quranic text and also in the traditions of the Holy prophet (peace be upon him) in the early times of Islam some sects developed which used this practice of national interpretation. On the other hand ahlal-Sunna adopted the position that what Allah subhanhu wa tala means by such difficult texts in right .The other made maximum use of their interpretations .So it was necessary to depict their methodology in this aspect for this purpose we wanted to write an article comprising the nature of Taweel (rational interpretation), its reasons and motives leading to it ,followed by the extent of difference caused by it in both present and past ,shedding light on the positions of them as compared to that of Ibn abi al izz al hanafii did not find any comprehensive research in this connection especially one which touches the doctrine of ibnabi al izz alhanafi, as far as the methodology followed in my research , it is the analytical one.

Key words: Taweel ,Aqeedah, Al Mutakallimeen, (Islamic theologians) , Al-Firq Al-Islamia (Islamic sects), Ibn Abi al izz al-Hanafi.

التأويل مصطلح خاص لدى الفقهاء والمتكلمين المتأخرين، يستخدمونه في مواضع معينة من كلام الله سبحانه وتعالى والسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، ويلحظ أن جذور الاختلاف الفكري أو العقائدي عند المسلمين قديماً يمكن إرجاعها إلى عدة فرق رئيسة ، ومدار التأويل كان يدور في دائرة هذه الفرق على وجه الخصوص، ومن خلالها يمكن فهم مدى الأثر المترتب عليه في تذكية الاختلاف فيما بينها وبين أهل السنة والجماعة الذين آثروا الاقتصاد في الاعتقاد، والوقوف عند رسومه آخذين بمجمله، ورأى جمهورهم وجل السلف الصالح عدم الخوض في المتشابهات وسلوكوا مسلك

التفويض في المعاني، أما غيرهم فقد كان التأويل معوله في أكثر النصوص، لذا لا بد من بيان مناهج هذه الفرق ومدى أثر التأويل عليها من الناحية الفكرية والعقائدية.

وهذا البحث يبرز حقيقة التأويل والأسباب أو الدوافع الداعية إليه، ثم يتعرض إلى بيان أثره على الناحية الفكرية والعقائدية؛ حيث كان سبباً رئيساً للخلاف بين الفرق في الماضي والحاضر، ثم يتعرض إلى بيان الاختلاف في التأويل بين مواقف الفرق الإسلامية والمواقف التي ذكرها العلامة صدر الدين ابن أبي العز الحنفي. ولم نقف -حتى الآن- على أي دراسات سابقة تناولت الموضوع بشكل شامل، أو تعرضت لموضوع التأويل في فكر الإمام صدر الدين ابن أبي العز الحنفي. رحمها الله ومنهج لهذا البحث هو التحليلي.

المقدمة

من سنة الله الكونية في خلقه أن جعل بينهم الاختلاف في العقول والأفكار والمفاهيم، قال الإمام أبو جعفر ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118]: «وأولى الأقوال في تأويل ذلك، بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى، إلا من رحم ربك». (1)

ولأهمية هذا الأمر اخترنا أن يكون عنوان بحثنا: قضية التأويل في فكر صدر الدين ابن أبي العز الحنفي (دراسة تحليلية) نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، كما نسأله التوفيق والسداد في القول والعمل، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أهمية الموضوع:

يستمد أهمية البحث من خلال ارتباطه المباشر بإمام جليل من علماء الأمة هو:

1- صدر الدين ابن أبي العز الحنفي رحمه الله

- 1- ويكتسب أهميته أيضاً من خلال استقرائه لوقوع الخلاف الفكري والمذهبي في علماء الإسلام.
- 2- كما يكتسب أهميته من خلال تقديم الحلول والمعالجات لظاهرة الخلافات في الجوانب الفكرية والعقائدية.
- 3- إن هذا الموضوع لم يحظ -فيما اطّلع عليه- بدراسة علمية مستقلة، ولذلك أرجو أن أقدم إلى المكتبة الإسلامية إضافة علمية، ولو يسيرة في هذا المجال.

1- أسباب اختيار الموضوع:

دعنا الأسباب التالية لاختيار موضوع ولخصناها في النقاط الآتية:

- 1- ميلنا إلى الغوص في موضوع التأويل ودراسته دراسة عقدية تحليلية
- 2- استغلال الأعداء للخلافات الفكرية بين العلماء في تنفيذ أجندة خفية تستهدف الإسلام والمسلمين.
- 3- المساهمة في تزويد المكتبة الإسلامية بما يفيد وينفع باذن الله تعالى.

2- الدراسات السابقة:

لم نقف -حتى الآن- على أي كتابات سابقة تناولت الموضوع بشكل شامل، أو تعرضت لموضوع التأويل في فكر الإمام صدر الدين ابن أبي العز الحنفي رحمه الله (دراسة تحليلية)

3- مشكلة البحث:

لقد كانت هناك جملة أسئلة تجول في خاطرنّا أردنا الإجابة عليها من خلال هذا البحث، ولخصناها في الأرقام

التالية:

- 1- ما هي الأسباب للخلاف الفكري والمذهبي على مستوى مواقف المسلمين ؟
- 2- ما هي آثار الخلاف الفكري والمذهبي والعقدي على الأفراد والأحزاب والمجتمعات والدول؟
- 3- كيف نعالج موضوع الخلاف الفكري في التأويل ؟
- 4- ماهي آراء الإمام صدر الدين ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تجاه التأويل؟

4- منهج البحث:

المنهج التحليلي .

5 خطة البحث:

التأويل لغة واصطلاحاً .

المبحث الأول: التأويل عند الفرق الإسلامية

المبحث الثاني: التأويل في فكر صدرالدين ابن أبي العز الحنفي رحمه الله.

أولاً :

تعريف التأويل لغة:

التأويل من مادة (أول) وهي تفيد معنى العودة والرجوع في جميع استعمالاتها اللغوية، ففي لسان العرب: أول: الأول: الرجوع. آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً: رجع. وأول إليه الشيء: رجعته. وألت عن الشيء: ارتددت. وفي الحديث: من صام الدهر فلا صام ولا آل أي لا رجع إلى خير، والأول الرجوع. في حديث خزيمه السلمي: حتى آل السلمي أي رجع إليه المخ ويقال: طبخت النبيذ حتى آل إلى الثلث أو الربع أي رجع.⁽²⁾

وفي تهذيب اللغة: "وأما "التأويل"، فقليل: من: أول يُؤُولُ تأويلاً. وثلاثية: آل يؤول، أي رجع وعاد.⁽³⁾ وفي "الصحيح في اللغة": "التأويل: تفسير ما يؤول إليه الشيء. وقد أوْلُتْهُ وتَأَوَّلْتُه، تأوَّلاً بمعنى. وآل الرجل: أهله وعياله. وآلُهُ أيضاً: أتباعه.⁽⁴⁾

فعلم من سبق من كتب اللغة أن معنى "أول" هو العودة والرجوع إلى الأصل ومعنى التأويل: هو ترجيع الشيء، وبذلك يمكن أن نقول: أن "تأويل الكلام" معناه: ترجيعه إلى أصله، و رد معناه الأول.

التأويل اصطلاحاً:

أما كلمة التأويل في الشرع، فقد حظيت باهتمام كبير من قبل العلماء، حتى أنهم ذكروا لها مفاهيم عديدة إلى اختلاف ما يتعلق بها، فالتأويل له معنى اللغة، وله معنى آخر في التفسير، ولهمعنا آخر غير الأولين عند الفقهاء الكرام، "التأويل في الأصل الترجيع وفي الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة مثل قوله تعالى: "يخرج الحي من الميت" الآية⁽⁵⁾ .

المبحث الأول: التأويل عند الفرق الإسلامية

يلحظ أن جذور الاختلاف الفكري أو العقائدي عند المسلمين قديماً يمكن إرجاعها إلى عدة فرق رئيسة هم الخوارج، والشيعية والفرق الباطنية، والصوفية، والفلاسفة، و علماء الكلام، ومدار التأويل كان يدور في دائرة هذه الفرق على وجه الخصوص، ومن خلالها يمكن فهم مدى الأثر المترتب عليه في تذكية الاختلاف فيما بينها وبين أهل السنة والجماعة الذين آثروا الاقتصاد في الاعتقاد، والوقوف عند رسومه آخذين بمجمله، ورأى جمهورهم وجل السلف الصالح عدم الخوض

في المشابجات وسلوكوا مسلك التفويض في المعاني، أما غيرهم فقد كان التأويل معوله في أكثر النصوص، لذا لا بد من بيان مناهج هذه الفرق ومدى أثر التأويل عليها من الناحية الفكرية والعقائدية، وذلك على النحو التالي:

أولاً: الخوارج.

يمكن القول أن أول ظاهرة حقيقية للاختلاف الفكري بين المسلمين نشأت مع ظهور طائفة الخوارج التي نجمت بعد التحكيم في وقعة صفين، حيث خرج القراء على الإمام علي - عليه السلام - ناقمين عليه رضاه بالتحكيم، ورفعوا شعار لا حكم إلا لله، فكان فهمهم لهذا الشعار هو أول تأويل للنصوص أعقبه تكفيرهم لكثير من الصحابة واستباحتهم لدمائهم، ثم أعقب ذلك كثير من الأفكار المخالفة لأهل السنة منها: التسوية بين الصغائر والكبائر، واعتقادهم أن العبد يصبح كافراً إذا ارتكب ذنباً، واعتقاد بعض فرقهم أن من لا يعرف أسماء الله وتفاصيل الشريعة فهو كافر، وتعتقد بعض فرقهم جواز نكاح البنات، وكذلك تعتقد بعض فرقهم أن سورة يوسف ليست من القرآن لأنها في شرح العشق والعاشق والمعشوق، ويجوزون أن يكون الرسول ظالماً إلى غير ذلك من المعتقدات التي تدل على مدى الانحراف الخطير الذي وقعت به هذه الفرقة.⁽⁶⁾ ويعتقد البعض أن حرفة الخوارج في تعاطيهم مع النصوص هو الذي أوقعهم في هذه المزالق الخطيرة، يقول بكر البشري: «إنما ضلت الخوارج بحملها القرآن على ظاهره»

ويرد ابن حزم عليه بقوله: «وأما قول بكر: عن الخوارج إنما ضلت بإتباعها الظاهر فقد كذب .. ما ضلت إلا بمثل ما ضل به هو من تعلقهم بآيات ما وتركوا غيرها.»⁽⁷⁾

الخوارج لسطحية فكرهم لم يحسنوا التعاطي مع النصوص الشرعية فتعاملوا مع بعض النصوص بحرفية ظاهرية مهملين التعاطي مع مجموعها، ولو تعاطوا مع مجموع النصوص لعلموا مراد الله سبحانه وتعالى من النصوص محل النزاع، وفهم المراد من النص من مجموع الأدلة وإن كان يخالف ظاهر اللفظ هو التأويل الصحيح والتفسير الحقيقي للنصوص الذي حرموا منه في موضعه فوقوا فيما وقعوا فيه، وبالتالي يمكن النظر إلى حرفيتهم أنها تفسير للنصوص من جهة، ومن جهة أخرى هو تأويل لها على اعتبار أن التأويل معناه المرجع والموئل الذي يؤول إليه النص؛ لذا فهمهم للنصوص كان نوع تأويل لها اعتبروه قطعياً وبنوا عليه أحكاماً كثيرة جرت ويلات على المسلمين، وبالرغم من ظاهريتهم وقلة التفاسير المنسوبة إليهم إلا أننا نجد تأويلات تتفق وأصولهم التي بنوا فكرهم على أساسها منها اعتبارهم لفظة السيئة الموجبة للخلود في النار تشمل الكفر والكبائر وكذلك الإصرار على الصغائر، إضافة إلى قولهم بتأويل التشابه يقول أطفيش¹ في تفسيره هيمان الزاد: «والحاصل أن مذهبنا ومذهب هؤلاء - يعني المعتزلة ومن وافقهم - تأويل الآية عن ظاهرها إلى ما يجوز وصف الله به»⁽⁸⁾.

ثانياً: الشيعة.

تعتبر الشيعة على اختلاف فرقها هي أقدم الفرق، وأكثرها توسعاً في باب التأويل، وقد لجأت للتأويل للانتصار إلى مذهبها ودفعاً لتصادم النصوص التشريعية مع مذهبها، خاصة أن هذه الفرقة قد قامت على نصرته آل البيت؛ لذا ليس من السهل ثبوتها من النصوص الشرعية خاصة القرآن الكريم؛ فعمدت إلى تأويل أكثر آياته ليتفق ومبادئها كالقول بالرجعة أو الإمامة على وجه الخصوص.

¹ - محمد بن يوسف أطفيش (1820 - 20 مارس 1914) عالم مسلم جزائري ومن الأئمة الإباضية، برز في الفقه والأدب واللغة والتفسير ومن رجال النهضة الإصلاحية في الجزائر. ولد في بني يسقن بمدينة غرداية وحفظ القرآن واستظهره وهو ابن ثماني سنين، ثم أخذ عن علماء بلده حتى نبغ واشتهر وسافر إلى الديار المقدسة مرتين وكان يؤلف وهو في السفينة.

والمعلوم أن ظاهرة التشيع فكرة يهودية نبتت على يد اليهودي المتمسلم عبد الله بن سبأ²، ولعل أول تأويل يعهد له القول برجعة محمد - ﷺ -، حيث ورد عنه أنه قال: «إني لأعجب ممن يقول برجعة عيسى ولا يقول برجعة محمد»⁽⁹⁾ مؤولاً قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ» [القصص: من الآية ٨٥]

والملاحظ على فرق الشيعة أنها توسعت في التأويل ولجأت إليه تأييداً لفكرهم حتى تلحظ في كتبهم أنهم اعتبروا أن ثلث القرآن نزل فيهم والثلث الآخر في أعدائهم، ويقصدون بأعدائهم منتزعي الإمامة من علي - ﷺ -، وموافقيهم، وهم أكثر الصحابة.

والملاحظ على تأويلات الشيعة خاصة الاثنا عشرية أنها لم تستند إلى دليل صحيح، أو إلى أي علاقة لغوية بين النص وبين المعنى المؤول، بل أكثر تأويلاتهم مبنية على نقولات مكذوبة على الأئمة من آل البيت، إضافة إلى قاعدة اعتمدها في تفسيرهم تجعل للإمام ما للنبي - ﷺ - من بيان المراد من قول الله سبحانه وتعالى، وتخصيص عامه وتقييد مطلقه.

فهذه المعتقدات والتصورات الفكرية كانت أرضية خصبة للتأويلات الفاسدة عند الشيعة، والتي أخرجت عامة القرآن عن ظاهره، بل أخرجته عن حقيقته بكونه نزل بلسان عربي مبين.

ولكي يتضح الأمر أسوق بعض نماذج لتأويلات الشيعة منها ما ورد في تفسير قول الله تعالى: «وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا» [الزمر: من الآية ٦٩]؛ فدلالة الآية واضحة أن الأرض أشرقت بنور الله سبحانه وتعالى، ولكن جاء في تفسيرها عند القمي: «رب الأرض يعني إمام الأرض، فقلت فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذا يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر، ويجتزون بنور الإمام».

ونقل القمي³ أيضاً في تفسير قول الله تعالى: «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ» [البقرة: ٢] قال الكتاب هنا علي بن أبي طالب، وهكذا ينهج الشيعة هذا المنهج في أكثر تأويلاتهم فالزيتون الذي أقسم الله به في القرآن هو الحسين، و القبلية المذكورة في القرآن هي في تأويلات الشيعة الأئمة، أما الشجرة التي نهي الله آدم عنها فهي شجرة العلم الحمدي .. إلخ⁽¹⁰⁾

ثالثاً: الفرق الباطنية.

الباطنية هم الذين يأخذون بالمعنى الباطن - بزعمهم - للقرآن ويجعلون لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، وقد أطلق المسلمون هذا على فرق عديدة أكثرها شيعي المنشأ، و لها شأن سياسي أهمها القرامطة و الإسماعيلية والنصيرية،

² - يهودي من أهل صنعاء، عرف باسم "ابن السوداء" تظاهر بالإسلام وكان له دور كبير في الفتنة التي حدثت بين الصحابة في صدر الإسلام. انظر كتاب (توضيح النبا عن مؤسس الشيعة عبد الله بن سبأ) لمؤلفه علي الرازحي.

³ - نظام الدين حسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري المعروف بنظام الأعرج إمام المفسرين وعصام المتبحرين نظام الملة والدين حسن ابن محمد بن الحسين الخراساني المعروف بالنظام الأعرج النيسابوري أصله وموطن أهله وعشيرته مدينة قم. وكان منشأه وموطنه بديار نيسابور وأمره في الفضل والأدب والتبحر والتحقيق وجودة الفرجة أشهر من أن يذكر وكان من كبراء الحفاظ والمفسرين ومن علماء رأس المائة التاسعة علي قرب من درجة جلال الدين الدواني وابن حجر العسقلاني وقرنائهم (روضات الجنات ص 225)

والدروز، ويضاف إليها البابية والبهائية⁴.

وهذه الفرق على عمومها اتخذت التأويل أساساً لفكرها، والمعهود عنهم في تأويلاتهم أنهم لم يبقوا آية على ظاهرها، يقول أحد كبار الإسماعيليين وهو النعمان التميمي الفاطمي قاضي قضاة الدولة الفاطمية في كتابه أساس التأويل: «من المسلم به أن التأويل من العلوم التي خص بها الإسماعيليون أئمتهم، وسموا لأجله باطنية، فقد جعلوا مُجَدِّاً هو صاحب التنزيل للقرآن، وجعلوا علياً صاحب التأويل أي أن القرآن أنزل على مُجَدِّ بلفظه ومعناه الظاهر للناس، أما أسرار التأويلية الباطنة فقد خص بها علي والأئمة من بعده»⁽¹¹⁾

وهذا يتضح من تأويلاتهم الرمزية، فالوضوء عند الإمامية هو متابعة الإمام، والتيمم هو الأخذ من المأذون عند غيبة الإمام الذي هو الحجة، والغسل تجديد العهد ممن أفشى سراً من أسرارهم والكعبة النبي والباب علي والصفاء هو النبي والمروة الإمام علي، والطواف بالبيت سبغاً موالاة الأئمة السبعة، وإبليس وآدم هما أبو بكر وعلي؛ إذ أمر الله أبا بكر بالسجود لعلي فأبى، أما الملائكة فتأولوها بأنهم دعاة الباطنية، والشياطين هم مخالفوهم، والجن الذي ملكهم سليمان هم باطنية ذلك الزمان⁽¹²⁾

وما زعمته الباطنية أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا قوله سبحانه وتعالى «وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» [الحجر: ٩٩]

والملاحظ على تأويلاتهم أنها لا ضابط لها بل هي شطحات خبيثة يحسن إدعائها الصبية قبل الكبار لما فيها من تقليب لمعاني الأشياء دون أدنى علاقة بين المعنى المزعوم واللفظ المرسوم، فهي بمثابة قولك عن الحمار دجاجة، وعن القمح عجلًا، وعن السماء نهرًا.

ويلحظ من عقائد الفرق الباطنية أنها تأثرت بشكل واضح في الفكر الفلسفي خاصة الفلسفة الأفلاطونية؛ لذا

⁴ - القرامطة هم فرقة إسماعيلية أقامت دولة إثر ثورة اجتماعية وسياسية ضد الدولة العباسية، وانشقت من باقي الشيعة الإسماعيلية بعد رفضهم إمامة عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية. أنشأ القرامطة دولتهم في بلاد البحرين (شرق شبه الجزيرة العربية). يعدها بعض الباحثين من أوائل الثورات الاشتراكية في العالم. الإسماعيلية إحدى فرق الشيعة وثاني أكبرها بعد الاثنى عشرية، وهي من الفرق الباطنية. يشترك الإسماعيلية مع الاثنى عشرية في مفهوم الإمامة، إلا أن الانشقاق وقع بينهم وبين باقي الشيعة بعد موت الإمام السادس جعفر الصادق، إذ رأى فريق من جمهور الشيعة أن الإمامة في ابنه الأكبر الذي أوصى له إسماعيل المبارك، بينما رأى فريق آخر أن الإمام هو أخوه موسى الكاظم لثبوت موت إسماعيل في حياة أبيه وشهادة الناس ذلك. النصيرية طائفة من الباطنية، طائفة من الرافضة الباطنية الذين يؤلهون علياً في الباطن، ويجعلونه إلهًا، هذا هو المعروف عنهم، وكتب عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة صغيرة فضحهم فيها، وبين عقائدهم الباطلة، وأنهم من جملة الرافضة الباطنية الذين يغفلون في علي، فليسوا على الإسلام، وإن تظاهروا بالإسلام، بل هم ناس من جملة الرافضة الباطنية الذين يؤلهون عليًا، ويرون أنه إله -

فرقة باطنية تؤله الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، أخذت جل عقائدها عن الإسماعيلية، وهي تنتسب إلى نشكين الدرزي. نشأت في مصر لكنها لم تلبث أن هاجرت إلى الشام. عقائدها خليط من عدة أديان وأفكار، كما أنها تؤمن بسرية أفكارها، فلا تنشرها على الناس، ولا تعلمها لأبنائها إلا إذا بلغوا سن الأربعين. البابية والبهائية حركة نبعت من المذهب الشيعي الشيعي سنة 1260/1844م تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية. أنظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي؛ المؤلف: محمد أحمد الخطيب؛ ص 32، حالة الفهرسة: غير مفهرس؛ الناشر: مكتبة الأقصى - عمان؛ سنة النشر: 1406

- 1986، (خرافات الحشاشين وأساطير الإسماعيليين/فرهاد دفتري/ص 39)، الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية ص 89.

نجد تأويلاتهم في العقائد قد نالت كل معالم العقيدة، فالله عندهم هو العقل الكلي أو النفس الكلية ثم العقل الأول والعقل الثاني وفق التسلسل الفلسفي، وقاموا بتعطيل كل صفاته، فلا يقال عن الله أنه حي ولا قادر ولا عالم ولا كامل ولا فاعل، ولا يقال له ذات لأن كل ذات حاملة للصفات.

والفرق الباطنية على تنوعها كان لها الأثر الواضح في الناحية الفكرية في القرن الرابع وما بعده؛ لعل من أهمها إزالة هالة الخوف والقداسة عن العقائد الإسلامية ووضعها تحت مجهر العقل والحس، ومهدت بذلك للزنادقة والمجوس والفلاسفة وغيرهم ليتجرعوا ويجهلوا بكفرهم وفلسفتهم اليونانية، ولم يقف الأثر الفكري للحركة الباطنية عند هذا الحد، بل أوجدت لها أثراً واضحاً عند المتصوفة بأفكارها وعقائدها الفلسفية، فظهر منهم الغلاة المتأثرون بأفكار الفرقة الباطنية وفلسفتها، فزعموا وحدة الوجود والاتحاد بالمعبود.

رابعاً: الصوفية.

لست بصدد الحديث عن التصوف على وجه العموم كظاهرة كانت ردة فعل لتوجه الدنيوي في إحدى مراحل الأمة الإسلامية؛ حيث عمد البعض إلى التقشف والزهد والدعوة إليه وكان لهؤلاء إشارات جميلة في علم السلوك وتأويلات سائغة لا تتعارض ومدلول الوحيين، بل يعنينا هنا فقط بعض مراحل النزعة الصوفية التي استغلت كستار للبعض للكيد للإسلام بما يعرف بالتصوف النظري الفلسفي، ومن رموزه ابن عربي، والتصوف العملي الذي أفرز لنا ما يعرف بالتفسير الإشاري للنصوص والذي اتخذ بعضه شكلاً مغالياً، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

أولاً: التصوف النظري الفلسفي:

وهذا التصوف يقوم على البحث والدراسة لا الزهد والتقشف، ومن مميزاته أنه اعتمد في تفسيره للنصوص الشرعية على الفكر الفلسفي الإغريقي أو الفكر الغنوصي الإشرقي، والفلسفات الهندية المتعلقة بالروح والروحانية، إضافة للفكر الباطني برمزيته و تأويلاته، ولا يستبعد أن يكون كثير من رجالات الفكر الباطني بعد انكشاف أمرهم و ملاحظتهم في المجتمعات الإسلامية قد تدثروا بدثار الصوفية لإكمال مآربهم الخبيثة في هدم النصوص الشرعية و قتل قدسيتها في المجتمع الإسلامي.

هذه نظرة سريعة للفكر الصوفي النظري، أما عن منهجه في التأويل، فلم يختلف من حيث الحقيقة عن تأويل الباطنية وغلاة الشيعة، ولا عن تأويلات فيرون اليهودي ولا أريجون النصراني، فالامتداد الفكري واحد وطريقة التفكير في التعاطي مع التأويل متشابهة، وهذا يتضح من تأويلات أرباب هذا الفكر وعلى رأسهم ابن عربي، وهذه نماذج من تأويلاته ذكرها في كتابه فصوص الحكم:

١ - يقول الله سبحانه وتعالى في حق إدريس عليه السلام: «ورفعناه مكاناً علياً» قال ابن عربي في تفسيرها، وأعلى الأمكنة المكان الذي تدور عليه رحى عالم الأفلاك، وهو فلك الشمس وفيه مقام روحانية إدريس وتحت سبعة أفلاك وتحت سبعة أفلاك. (13)

٢ - وعند تعبيره عن نظريته في الحلول ووحدة الوجود قال عند تفسيره لقول الله: « [فادخلي في عبادي، وادخلي جنتي] أي ستري، وليست جنتي سواك، فأنت تسترني بذاتك الإنسانية فلا أعرف إلا بك. » (14)

ثانياً: التصوف العملي.

وهذا النوع من التصوف أفرز كما ذكرت التفسير الإشاري للنصوص، أي تفسير النصوص حسب ما تشير إليه لا بحسب العبارات والألفاظ، وهذا التفسير ينقل النص من معناه القريب المراد إلى معنى آخر بعيد، ويرتكز هذا التفسير في

الغالب على الرياضة الروحية التي يأخذ بها الصوفي لدرجة تتكشف لديه حقائق الأشياء ودلالاتها.

والحقيقة أن التفسير الإشاري للنصوص والكشف عن مدلولات النص البعيدة والقريبة في حد ذاته ليس فيه ما يعيب فما وافق الحق وتوافرت فيه شروط التأويل وضوابطه يعتبر تأويلاً سليماً صحيحاً يعتد به، وما خالف الحق أو لم تتوافر فيه شروط التأويل فهو من شطحات القوم التي لم يسلموا من الكثير منها، ويدخل في دائرة التأويلات المستبعدة.

ومن الأمثلة على التفسير الإشاري المرفوض تأويل سهل التستري⁵ لأول بيت وضع للناس بقوله: «أول بيت للناس بيت الله بمكة، هذا هو الظاهر، وباطنها: الرسول يؤمن به من أثبت الله في قلبه التوحيد من الناس.»

ومن تأويلاتهم الباطلة قول التستري⁽¹⁵⁾ أيضاً في تفسير ألم: «فأما هذه الحروف إذا انفردت، فالألف تأليف الله عز وجل، ألف الأشياء كما شاء، واللام لطفه القديم، والميم مجده،»

فالملاحظ من هذا التأويل أنه لا مستند له لا من لغة ولا غيرها، بل هو توليف لعبارات يحسن مثلها أي إنسان لا تأويل مبني على شروط وضوابط، ولا يخفى على أي دارس لكثير من التفسيرات الإشارية عند الصوفية أنها تدخل في باب الإلحاد في آيات الله والتقول عليه بغير علم.

ومن الأمثلة على التفسير الإشاري المقبول تفسير الأنناد في القرآن بأنه يقع أيضاً على النفس الأمانة بالسوء، فهذا المعنى وإن كان مشككاً لأنه لم يعهد من العرب وغيرهم اتخاذهم النفس معبوداً؛ إلا أنه دلت آيات على أن إتباع الهوى هو نوع تأليه له، و متابعة أمر الآخرين المخالف لأمر الله سبحانه وتعالى بمثابة اتخاذهم أرباباً من دون الله، فهذه الأوجه تعزز اعتبار تفسير إتباع النفس الأمانة بالسوء باتخاذ ند من دون الله.⁽¹⁶⁾

خامساً المعتزلة:

تعتبر المعتزلة من أهم فرسان الكلام، والذي دفعهم لسلوك طريقتهم الكلامية الفلسفية هو دفاعهم عن الإسلام، خاصة في وسط تسربت فيه أفكار الفلسفة اليونانية وأفكار كثير من الملاحدة فانبهروا للدفاع عن دين الله، وكانت لهم جهود إيجابية لا تنكر؛ فبعض المعتزلة نزهوا العقل وأعطوه سلطاناً فوق سلطانه، بل اعتبروه حاكماً على الشرع؛ لذا قرروا قاعدتهم المشهورة: ما حسنه العقل فهو حسن وما قبحه العقل فهو قبيح، وبذا خالفوا أهل السنة الذين أكدوا على قاعدة مغايرة وهي: ما حسنه الشرع فهو حسن وما قبحه الشرع فهو قبيح.

إذاً منشأ ضلال المعتزلة كان في اعتبارهم العقل حاكماً على الشرع، وتفرع على ذلك أنهم تناولوا أصولهم الخمسة [التوحيد - العدل - المنزلة بين المنزلتين - الوعد والعيد - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر] من خلال حاكمية العقل، فأصلهم الأول التوحيد استلزم عندهم تنزيه الله عن كل ما لا يليق وفق تصورات العقل وتقريراته لديهم، لذا أولوا أكثر صفات الله، وأثبتوا لله الأسماء وسلبوا عنه الصفات فهو سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وأقحموا المجاز في أكثر آيات الصفات، فصفة الرضا تألولها بإرادة الإحسان، والغضب تألولها بالانتقام، وأنكروا أن يكون لله عرش حقيقة وتألوله بالملك، والكرسي بالعلم، واليدان بالقوة والنعمة، وأنكروا نزول الله إلى السماء الدنيا، وقال بعضهم بعدم تجويز اسم الوكيل على الله.⁽¹⁷⁾

أما الأشاعرة فكانوا أهون خطباً من المعتزلة وأكثر أدباً مع الله وأقرب من هدي السلف الصالح إلا أن تعاطيهم مع

⁵ التستري، أبو محمد سهل (200 - 283 هـ، 815 - 896 م). أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن ربيع التستري ولد في تشتر قرب شيراز في بلاد خوزستان. كان أحد أئمة الصوفية في عصره. له أقوال في تفسير بعض الآيات جمعها أبو بكر محمد البلدي في كتاب ونسبها إليه وعرف هذا الكتاب بتفسير التستري. توفي في البصرة. نقلنا عن الموسوعة العربية العالمية.

الأسماء والصفات ترتب عليه تعطيل لكثير من الصفات، وكان الأسلم لهم التفويض لا التأويل فقولهم أن لفظة استوى معناها استولى كما هو ملاحظ لم يخرجنا من المتناهة العقلية التي يزعمها أهل الكلام؛ بل أقحمونا فيها حقيقة أكثر من اللفظ المفسر عينه، ويجر ذلك إلى أسئلة كثيرة لمعرفة المقصود بالاستيلاء .. إلخ، يقول ابن تيمية: «أما التأويل المذموم والباطل، فهو تأويل أهل التحريف والبدع الذي يتأولونه على غير تأويله، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله بغير دليل يوجب ذلك، ويدعون أن في ظاهره من المخدور ما هو نظير المخدور اللازم فيما أثبتوه بالعقل، ويصرفونه إلى معانٍ هي نظير المعاني التي نفوها عنه، فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه»⁽¹⁸⁾

فهل طريقة المتكلمين أسلم في بيان المراد بالاستواء أم تفويض السلف خاصة إمام دار الهجرة الإمام مالك عندما سئل عن الاستواء فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، أو قول ربيعة شيخ مالك: «الاستواء معلوم والكيف مجهول، ومن الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا الإيمان»⁽¹⁹⁾

صحيح أن طبيعة مجازية اللغة تحتل بعض تأويلات علماء الكلام إلا أنها ليست الطريقة الأسلم لفهم النص الديني المتعلق بالعقائد والأمور الغيبية التي لا مجال للعقل في إدراك حقيقتها أو كنهها، لذا يصار إلى التفويض كما هو هدي السلف الصالح، وإن قيل في هذا المقام أن التفويض نوع عجز، نقول: وهذا هو عين الرسوخ في العلم لما يتضمن من إقرار بحقيقة يغفل عنها الإنسان وهي قصوره وعجزه الذي جبل عليه فإن تجاوز الإنسان هذه الحقيقة مدعيًا كمال العقل وقدرته على الخوض في جميع المجالات سواء كانت تحت دائرة المحسوس أو تتجاوزها إلى سواه عندها استحق صفتي الظلوم لإقحامه العقل في غير مجاله الجهول بمحدود قدرته وطاقات عقله التي أنيطت به.

المبحث الثاني: مفاهيم "التأويل" لدى العلامة ابن أبي العز رحمه الله

يقول العلامة ابن أبي العز حول معنى التأويل:

وقد ذكر العلامة ابن أبي العز مفاهيم عديدة للتأويل، وسنذكر ذلك فيما يلي من السطور:

ذكر العلامة ابن أبي العز أن للتأويل ثلاثة مفاهيم في الاصطلاح، وهي:

الأول: معنى "التأويل" في الكتاب والسنة: معنى التأويل بالنظر إلى كلام الله سبحانه وتعالى والسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام هو الحقيقة التي يؤول إليها كلام المتكلم في الشاهد، فتأويل الأخبار هو أعيانها الموجودة حقيقة وتأويل الأوامر هو فعل المأمورات، يقول رحمه الله وهو يشرح ذلك مثلاً لذلك من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ: فتأويل الخبر: هو عين المخبر به، وتأويل الأمر هو نفس الفعل المأمور به كما [قالت عائشة رضي الله عنها] : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول في ركوعه : سبحانهك اللهم ربنا وبمحمدك اللهم اغفر لي [يتأول القرآن وقال تعالى : { هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق } ومنه تأويل الرؤيا وتأويل العمل كقوله : { هذا تأويل رؤياي من قبل } " (20) .

الثاني: التأويل في اصطلاح المفسرين: التأويل معناه التفسير في حسب استعمال المفسرين لكلام الله تعالى، فهو بمعنى شرح الكتاب الحكيم وشرح كلماتها بكلماتها المترادفة، فذكر مرادف كلمة من الكتاب تأويله، وذلك كما يقول ابن جرير الطبري وغيره من المفسرين الكرام.

الثالث: التأويل اصطلاح المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين: التأويل لدى المتأخرين من العلماء الكرام هو صرف اللفظ عن المعنى الظاهر إلى معنى آخر غير ظاهر .

العلامة ابن أبي العز و رأيه فيما يتعلق بهذا النوع من التأويل: يقسم العلامة هذا النوع من التأويل إلى قسمين:

التأويل الصحيح، هو التأويل يوافق النصوص و لا يخالف مدلولاتها، وهذا النوع من التأويل صحيح جائز يثاب عليه. التأويل الفاسد. وهو التأويل الذي يخالف النصوص من الكتاب والسنة. (21)

أسباب لجوء المتكلمين إلى التأويلات والرد عليها من شيخ ابن أبي العز الحنفي بالدلائل:

التأويل مصطلح خاص لدى الفقهاء والمتكلمين المتأخرين، يستخدمونه في مواضع معينة من كلام الله سبحانه وتعالى والسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام.

و قد ذكر العلامة ابن أبي العز أسبابا لمنهجية هذا النوع من التأويل:

أولاً: التأويل في النصوص التي تقتضي التشبيه والتمثيل:

ذهب المتكلمون إلى أن الله واحد وليس كمثله شيء (22)، فالنصوص التي تدل على شيء من التشبيه والتمثيل يؤولونها عن ظاهرها، ويرون ذلك لازماً ابتعاداً عن ظاهر التشبيه، لأن الحمل على المعنى الحقيقي يؤدي إلى التعارض مع النصوص الأخرى لذلك قالوا لا بد من التأويل. والعلامة ابن أبي العز ذكر أسباباً عديدة لاختيار التأويل الفاسد كمنهج يسلكونه في توضيح النصوص من الكتاب والسنة، يقول العلامة:

"ففهموا من أخبار الصفات ما لم يرد الله ولا رسوله، ولا فهمه أحد من أئمة الإسلام، أنه يقتضي إثباتها التمثيل بما للمخلوقين، ثم استدلو على بطلان ذلك بقول الله تعالى: "ليس كمثله شيء"، تحريفاً للنصين (23).

رد العلامة على هذا السبب للتأويل:

لقد منع العلامة جواز التأويل لهذا السبب، و يقول أن الحاجة تمس إلى التأويل إذا صرفنا الكلام عن معناها الظاهر، لكننا إذا أخذنا نفس المعنى لكن على الوجه اللائق بالله لانتهت المشاكل ولما مست الحاجة، لأن الصرف من المعنى الظاهر يؤدي إلى ثلاثة أخطاء كما ذكرها صاحب الكتاب "منهج العلامة ابن أبي العز و آراءه في العقيدة:

أولاً: الاعتقاد بأن ظاهر النصوص هو التمثيل.

ثانياً: إنكار المعنى الظاهري للنص، بأن المعنى الظاهري ليس مطلوباً هنا، لأن معناه التمثيل، وهو منهي عنه في الشرع.

ثالثاً: إثبات معان أخرى لا دليل عليها من الشرع. (24)

ويزيد عليها العلامة ابن أبي العز أن النصوص لا تدل على المعنى الكفري والباطل، وإن الذي يفهم ذلك المعنى فإنما هو لأجل قصور فهمه وليس لأجل أن النص يحمل تلك المعنى؛ لأن الله سبحانه وتعالى كيف يأتي بكلام ظاهره ضلال وهو أصدق القائلين، فعلم أن القصور في أفهام من يأخذ ذلك المعنى، وليس الكلام في كلام الله سبحانه وتعالى ولا كلام الرسول ﷺ، فلا حاجة إلى التأويل الغير الضروري.

شروط صحة التأويل كما يراها العلامة ابن القيم رحمه الله:

و قد ذهب العلامة ابن القيم رحمه الله سبحانه وتعالى إلى أن التأويل يصح بثلاث شرائط؛

- 1... احتمال اللفظ للمعنى الذي تأوله من جهة اللغة، وإلا كان كاذباً على اللغة منشأ وضعاً من عنده.
- 2... وجود الدليل على ذلك المعنى المراد الذي صرف إليه من بين سائر الاحتمالات الأخرى.
- 3... وجود دليل يصرف اللفظ عن ظاهره، فلا يصح صرف المعنى عن ظاهره بدون دليل موجب لذلك.
- 4... إجابة المتأول عن المعارض، فإن مدعي الحقيقة قد أقام الدليل السمعي والعقلي على إرادة الحقيقة. (25)

ثانياً: عدم إفادة الدليل النقلي لليقين عندهم.

يقول المتكلمون إن الدليل النقلي وإن كان قطعي الثبوت لكنه ليس من اللازم أن تكون قطعي الدلالة والمعنى، و أما أخبار الاحاد فهي ليس تقطعية الثبوت و لا قطعية الدلالة، لذلك يتأول ونفي بعضا لنصوص التي تعارض النصوص الأخرى، وهذا جائز عندهم حتفي كتاب الله عزوجل و السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، لكن العلامة رد على صنعهم هذا ردا شنيعا ويدي عن تعجبه لمنهجهم المسلك في تأويل النصوص من الكتاب والسنة حيث قال:الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة القائلين بأن الأخبار قسمان: متواتر واحاد، فالمتواتر وإن كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الأدلة اللفظية لاتفيد اليقين، وبهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفاح، وأحالوا الناس على قضايا وهمية، ومقدمات خيالية سموها قواطع عقلية وبراهين يقينية. (26)

رد العلامة ابن أبي العز هذا السبب:

رد العلامة ابن أبي العز هذا السبب بأنه لايجاوز ترك النصوص لأجل المعقولات، بل يجب العمل بالنصوص مطلقا، و يجب أن نشتشكل المعقولات نفسها إذا رأيناها تعارض النصوص، لأن النصوص قطعية و صريحة ولايمكن أن تعارض معقولا، فالخلل إذا في المعقول وليست في المنقول القطعي الدلالة والثبوت، يقول العلامة رحمه الله: "وطريق أهل السنة : أن لا يعدلوا عن النص الصحيح ولا يعارضوه بمعقول ولا قول فلان كما أشار إليه الشيخ رحمه الله وكما قال البخاري رحمه الله : سمعت الحميدي يقول : كنا عند الشافعي رحمه الله فأتاه رجل فسأله عن مسألة فقال قضى فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم كذا وكذا فقال رجل للشافعي : ما تقول أنت ؟ ! فقال : سبحان الله ! تراني في كنيسة ! تراني في بيعة ! تراني على وسطي زار ؟ ! أقول لك : قضى رسول الله صلى الله عليه و سلم وأنت تقول : ما تقول أنت؟! ونظائر ذلك في كلام السلف كثير وقال تعالى : { وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم } (27)

فقد حرص العلامة من خلال دره على على الأخذ بكتاب الله تعالى والسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام أساسا، كما حرص على الاجتناب من ترجيح المعقول في معارضة النصوص، وقد نقل صاحب الكتاب منهج العلامة ابن أبي العز عن الإمام الرازي ما يتعلق بخصوص إفادة الأدلة اللفظية لليقين حيث قال وكلامه يؤيد موقف المؤلفين : "الدلائل اللفظية لاتكون قطعية، لأنها موقوفة على نقل اللغات، ونقل وجوه النحو والتصريف وعدم الاشتراك والمجاز والتخصص والإضمار وعدم المعارض النقلي والعقلي، وكل واحد من هذه المقدمات مظنونة، والموقوف على المظنون أولى أن يكون مظنونا، فثبت أن شيئا من الدلائل اللفظية لا يمكن أن يكون قطعيًا". (28)

لكن العلامة ابن القيم أجاب عن هذا بدلائل كثيرة وأثبت بالدلائل والبراهين أن دلالة الألفاظ على معانيها قطعية بالضرورة وليست ظنية كما ظنها الآخرون، وقدنقل صاحب الكتاب "منهج العلامة في العقائد" خمسة منها يمكن أن يراجع للتفصيل. (29)

ثالثا: القواطع العقلية تقتضي صرف اللفظ عن ظاهره:

يقول العلامة أن السبب الثالث للجوء المتكلمين إلى التأويل الفاسد هو اعتقادهم أن مراد النص الظاهري لا يقتضيه القواطع العقلية، وإنما تقتضي صرف معانيها عن ظاهرها حتى يصح المعنى المطلوب عندهم، والعلامة رد على الصنيع ردا شديدا، وظنه مخالفة صريحة لمقتضى النصوص والفهم الصحيح، يقول صاحب الكتاب منهج العلامة ابن أبي العز في العقيدة: أنكر ابن أبي العز على المتكلمين سلوكهم التأويل منهجا في الصفات، واعتبر ذلك تحريفا وتبيلا للنصوص، وصرفا لها عن معناها المتبادر منها إلى معان أخرى لادليل عليها من الشرع ولا يقتضيهما السياق، وأوضح أن

تسمية ذلك تأويلاً لا يغير من الحقيقة شيئاً، وإنما من باب زخرف القول والتلبيس لكي لا ينفر الناس من مذهبهم. (30)

وسبب إنكار العلامة لهذا المنهج من التأويل هو التحريض على أصل النصوص وفهمها فهما صحيحاً لا يحتاج فيه إلى التأويل، وقد رد العلامة على هذا السبب أيضاً رداً قوياً جداً، حيث ينكر اقتضاء القواعد العقلية صرف النصوص عن ظواهرها، لأن القواعد العقلية بالعقول، وعقول البشر ليس لها منهج خاص، فكل واحد يفكر بعقله بأسلوب خاص يختلف عن الغير لأسباب عديدة، لذلك لا يمكن أن نرجح صرف النصوص لأنها تخالف العقل في مقابلة القول بأن المراد منها كما هو اللائق بالله ﷻ وعم نواله، وأضاف العلامة أن الذهاب إلى التأويل يؤدي إلى مفسدتين عظيمتين:

أحدهما: أن لا نقر بمعاني كتاب الله عز وجل قبل أن نعرضها على العقول لنعرف أنها لا تعارضها، ثم نقر بمعانيها، ومن المعلوم أن العقول كثيرة ولا يمكن الوصول إلى نتيجة واحدة، لذلك لم تكن حاجة للجوء إلى التأويل لهذا السبب.

ثانيهما: نتيجة لهذا الصنيع ربما تضعف القلوب وتتردد في معانيها وعن الجزم بشيء مما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم. (31)

والحقيقة أن موقف العلامة في هذا الباب قوي جداً، ومطابق للأصول الإسلامية، كما يتبين على الحيلة في شرح نصوص الكتاب والسنة.

رأي العلامة ابن أبي العز الحنفي وكونه أقرب إلى الحق: لكونه منبياً على دلائل قوية، وعدم اختيار التكلف في العمل به إضافة إلى كونه أحوط خاصة والموضوع حول صفات الله عز وجل، وقد وافقه في ذلك غيره من العلماء الكرام، يقول العلامة الفقيه المحقق المبداني الحنفي رحمه الله تعالى في شرحه للعقيدة الطحاوية: "الواجب إجراءه على ظاهره، وتفويض علمه إلى قائله مع تنزيه الباري عن الحاجة ومشابهة الصفات المحدثه" (32)، وينقل العلامة عن الإمام فخر الإسلام البزدوي في أصوله: "إثبات الوجه واليد عندنا معلوم بأصله متشابه بوصفه، ولن يجوز إبطال الأصل بالعجز عن درك الوصف وإنما ضلت المعتزلة من هذا الوجه" (33)، ويضيف العلامة قول العلامة ابن دقيق العيد وهو يصفه بالتوسط والاعتدال في الموضوع حيث قال: "نقبل التأويل إذا كان المعنى الذي أول به قريباً مفهوماً من تخاطب العرب وتوقف فيه إذا كان بعيداً" ونفس القول منقول عن العلامة ابن الهمام رحمه الله تعالى (34).

فقد علم من هذه التصريحات أن الاحتياط في عدم حمل اللفظ على معنى آخر مندوب ونجاسة لما فيه من التنزيه وعلم التكلف في فهم معناه، كما أن في نوع خضوع وحيلة، يقول العلامة ابن حزم الظاهري، وهو يشير إلى الوسطية في الموضوع حيث قال:

"والتأويل نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر فإن كان نقله قد صح بهرمان وكان ناقله واجب الطاعة فهو حق وإن كان نقله بخلاف ذلك اطرأ ولم يلتفت إليه وحكم لذلك النقل بأنه باطل" (35)

فعلم أن المسألة أكبر من التأويل، وأن الاحتياط فيه أولى وأن التفويض إلى الله سبحانه وتعالى أحوط في الباب، يقول العلامة الجويني: "وإذا ظهر هذا وبأن انجلت الثلاث مسائل بأسرها وهي مسألة الصفات من التزول واليد والوجه وأمثالها ومسألة العلو والاستواء ومسألة الحرف والصوت أما مسألة العلو فقد قيل فيها ما فتحه الله تعالى وأما مسألة الصفات فتساق مساق مسألة العلو ولا نفهم منها ما نفهم من صفات المخلوقين بل يوصف الرب تعالى بها كما يليق بجلاله وعظمته فتزل كما يليق بجلاله وبِعظمته ويداه كما تليق بجلاله وعظمته ووجهه الكريم كما يليق بجلاله وعظمته فكيف نكر الوجه الكريم ونحرف" (36)

نتائج البحث:

الحمد لله رب العلمين والصلوة والسلام علي سيد الأنبياء والمرسلين.

أما بعد:

يعتبر التأويل سلاحاً ذا حدين، فهو من وجه يعتبر من أخطر الأسباب المفضية للخلاف بين المسلمين، وقد كان أثره واضحاً عبر مجريات الدهور، ووجه خطورته تكمن في أنه يتجاوز حدود ظاهر النص الشرعي ويتخطاه إلى معان هي محط اختلاف من حيث قبولها أو رفضها، وإذا فسدت النوايا والمقاصد أصبح التأويل وسيلة للتفلسف من النص الشرعي أو تعطيله أو نزح قدسيته من قلوب الغير، أو تحريف المراد به ليقدم غير ما وُضع له.

ومن وجه آخر يعتبر التأويل من أعظم الوسائل المعينة على حفظ الشريعة وبث روحها من خلال توسيع أفق معنى النص ليستوعب كل الوقائع والمستجدات إلى قيام الساعة، وبدونه يصيب الشريعة الجمود والتقوقع لأن النصوص محدودة بالنسبة للوقائع.

و هذه الطبيعة الهامة للتأويل بسلاحيه تقتضي من المسلمين العناية به دراسة وضبطاً وتوصيفاً وتأسيساً لضوابطه ومجالاته وشروطه ليؤدي وظيفته الإيجابية على الوجه المشروع، ويسد الذريعة لاتخاذ مطية للتوصل من الشريعة أو تعطيل نصوصها.

وخلال هذا البحث المتواضع من أهم النتائج التي خلُصت إليها ما يلي:

- ١ - الاختلاف العقائدي والفكري الناجم عن التأويل في الغالب ليس مرده إلى آلية التأويل نفسها بل لتلك الأفكار المسبقة والعقائد المنحرفة والمآرب الفاسدة التي كانت وراء التأويل.
- ٢ - التأويل خلاف الأصل لأنه تصرف في ظاهر اللفظ والأصل أن الألفاظ، خاصة النصوص الشرعية بينة واضحة في نفسها للدلالة على مقصود الشارع؛ لذا لا يلجأ إليه إلا في حال الضرورة الملزمة.
- ٣ - سبب ضلال كثير من الفرق بتأويلاتهم الفاسدة مرده خوضهم فيما لا مجال للعقل في إدراكه لقصوره عن إدراك ما هو خارج المحسوس.
- ٤ - اختلف أهل السنة في حكم التأويل، والأسلم في هذه المسألة التفويض جرياً على نهج السلف الصالح كما قال صدر الدين ابن أبي العز الحنفى رحمه الله.
- ٥ - التأويل في النصوص العملية له مسوغاته ومقتضياته، والاختلاف الناتج عنه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.
- وأن العلامة قسم التأويل إلى قسمين:
٧. التأويل الصحيح، هو التأويل الذي يوافق النصوص و لا يخالف مدلولاتها، وهذا النوع من التأويل صحيح جائز يثاب عليه.
٨. التأويل الفاسد. وهو التأويل الذي يخالف النصوص من الكتاب والسنة.



This work is licensed under a [Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

- (1) ابن جرير، مُجَدِّد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، 2000 م (15 / 534).
- Ibn Jarir, Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Kathir al-Tabari, Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an, Mussasah Al-Resala, 1420 AH - 2000 AD (15/534).
- (2) ابن منظور، الامام العلامة ابى الفضل جمال الدين مُجَدِّد بن مكرم الافريقي، لسان العرب، نشر أدب الحوزة قم، ايران 1363 ق (4 / 65).
- Ibn Manzoor, Imam Allama Abi Al-Fadl Jamal Al-Din Muhammad Bin Makram Al-Afriqi, Lisan Al-Arab, Published Adab -ul Hawza, Qom - Iran 1363 BC (4/65).
- (3) أبو منصور، مُجَدِّد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، 2001 م، (207/5).
- Abu Mansour, Muhammad bin Ahmad bin Al-Azhari Al-Harawi, Tahzeeb Al-Lugha, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut, 2001 AD, (5/207).
- (4) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دارالعلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م، 27/1.
- Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Gohari Al-Farabi, Al-Sihah Taj al-Lughah wa Sihah al-Arabiyyah, investigation: Ahmad Abd al-Ghaffour Attar, Publisher: Dar al-Ilm Li'l Mallaaien - Beirut Edition: Fourth 1407 AH - 1987 AD, 1/27.
- [Al-Anbiya-95].
- (5) [الأنبياء 95].
- (6) دُجْدُجْدُ أحمد، الموسوعة في الفن والملاحم وأشراف الساعة، المبيض، ط الأولى، مؤسسة المختار، مصر، 109/2.
- Dr. Muhammad Ahmad, Al-Musua'a fi al-Fitn, wal-Malahim, wa Ishrat al-Sa'ah, Al-Mubayez, First Edition, Al-Mukhtar Foundation, Egypt, 2/109.
- (7) ابن حزم، أبو مُجَدِّد علي بن أحمد، الإحكام في أصول الأحكام تحقيق: الشيخ أحمد مُجَدِّد شاعر الناشر: دارالافاق الجديدة، بيروت، 2 / 302.
- Ibn Hazm, Abu Muhammad Ali bin Ahmad, Al-Ahkam fi Usul Al-Ahkam, investigation: Sheikh Ahmed Muhammad Shaker. Publisher: Dar Al-Afaq Al-Jadida, Beirut, 2/ 302.
- (8) دُجْدُجْدُ حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، 1989، ط الرابعة، مكتبة وهبة، مصر، 2 / 315.
- Dr. Muhammad Hussein Al-Dhahabi, Al-Tafsir and wal-Mufsarun, 1989, fourth edition, Maktaba Wahba, Egypt, 2/ 315.
- (9) مُجَدِّد أحمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، حالة الفهرسة: غير مفهرس، مكتبة الأقصى عمان، 1986، ص 32.
- Muhammad Ahmed Al-Khatib, Al-Harakat-ul Batinya fil-Alam al-Islami, Indexing Status: Not Indexed, Maktabat Al-Aqsa, Umman, 1406 - 1986, p. 32.
- (10) مُجَدِّد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، 2 / 67.
- Muhammad Husayn al-Dhahabi, Al-Tafsir and wal-Mufsarun, 2/67.
- (11) مُجَدِّد حسين الذهب، التفسير والمفسرون، 3 / 149.
- Muhammed Hussain Al-Dahab, Al-Tafsir and wal-Mufsarun, 3/149.
- (12) مُجَدِّد حسين الذهب، التفسير والمفسرون، 3 / 113.
- Muhammed Hussain Al-Dahab, Al-Tafsir and wal-Mufsarun, 3/113.
- (13) القاضي مُجَدِّد بن عبد الله أبوبكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعُلِّق عليه: مُجَدِّد عبد القادر عطا، الناشر: دارالكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م، 26/1.
- Al Qazi Muhammad bin Abdullah Abu Bakr bin Al-Arabi Al-Ma'afari Al-Ishbili Al-Maliki, Ahkaam Al-Qur'an, reviewed its origins and extracted its hadiths and commented on it: Muhammad Abdul Qadir Atta, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut-Lebanon, Edition: Third, 1424 AH - 2003 AD, 1/26.

Ibid: 1/50

(14) المرجع السابق: 1/ 50-

(15) التفسير والمفسرون لمحمد الذهبي، 2/ 349-

Al-Tafsir and wal-Mufsarun by Muhammad al-Dahhabi 2/349

(16) التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري، تفسير التستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي الحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1423 هـ، 27/1-

Al-Tustari, Abu Muhammad Sahl bin Abdullah bin Yunus bin Rafi' al-Tustari, Tafsir al-Tustari, compiled by: Abu Bakr Muhammad al-Baldi, investigator: Muhammad Basil Oyoun al-Soud, Publisher: Muhammad Ali Beydoun Publications / Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, Edition: 1 - 1423 AH, 1 / 27 .

(17) د محمد عمارة، موسوعة الحضارة العربية والإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1995، بيروت، 459 - 544، ص: 95-

Dr. Muhammad Emara, Al-Mosoa Al Hizara Al-Arabia wa-Islamia, Al-Mosoa Al-Arabia Llderasat wa-lnashar, 1995, Beirut, 459-544, p.: 95.

(18) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم، الرسالة الأكملية فيما يجب لله من صفات الكمال ابن تيمية، الناشر: مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، القاهرة، مصر، الطبعة: 1403هـ/1983م، 3/67-

Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad bin Abdul-Halim, Al-Resalah Al-Kamaaliyah Fema Yajebu Lillahe Min Sifat Al-Kamal Ibn Taymiyyah., Publisher: Al-Madani Press, Al-Moassasa Al-Saudia, Al-Qahira, Egypt, Edition: 1403 AH / 1983 AD, 3/67.

(19) المرجع السابق: 3/ 58

Ibid: 3/58

(20) صدرالدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذري الصالحى الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة: العاشرة، 1417هـ - 1997م، ص: 210-

Sadr-ud-Din Muhammad bin Ala al-Din Ali bin Muhammad Ibn Abi al-Izz al-Hanafi, Al-Zar'i al-Salihi al-Damashq, Sharh al-Aqeedah Al-Tahawiyah, Research: Shoaib al-Arnaut - Abdullah bin Al-Mosin Al-Turki, publisher: Muassasa Al-Risalah, Beirut, edition: 10th, 1417 AH - 1997 AD, p: 210.

(21) صدرالدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذري الصالحى الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: العاشرة، 1417هـ - 1997م، ص: 160-

Sadr-ud-Din Muhammad bin Alauddeen Ali bin Muhammad Ibn Abi Al-Izz Al-Hanafi, Al-Zar'i Al-Salihi Al-Damashq, Sharh Al-Aqeedah Al-Tahawiyah, Research: Shoaib al-Arnaut - Abdullah bin Al-Mosin Al-Turki, publisher: Muassasa Al-Risalah, Beirut, edition: 10th, 1417 AH - 1997 AD, p: 160.

(22) {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11)} [الشورى: 11]

{Nothing is like Him, and He is the All-Hearing, All-Seeing(11)} [Al-Shura: 11]

(23) شرح العقيدة الطحاوية ص: 351-

Sharh Al-Aqeedah Al-Tahawiyah (p. 351)

(24) عبد الله بن عبيد بن عباد الحافي، منهج الإمام ابن أبي العز الحنفي وآراؤه في العقيدة من خلال شرحه للطحاوية، بلد النشر السعودية، الحقيق: عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار النشر: دار ابن الجوزي، تاريخ النشر: 1424هـ، المدينة: الدمام، ص: 73-

Abdullah bin Ubaid bin Ebad Al-Hafi, Manhaj al-Imam Ibn Abi al-Ezz al-Hanafi and his guidance in al-Aqeedah through his interpretation of al-Tahawiya, Country of Publication, Saudi Arabia, Investigator: Abdul Rahman Bin Saleh Al-Mahmoud, Publisher: Dar Ibn Al-Jawzi, Publishing Date: 1424 AH, City: Dammam, p. :73.

(25) منهج الإمام ابن أبي العز، ص: 74- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة لابن قيم الجوزية مكتبة مشكاة (1/ 65) الرابع الجواب عن المعارض فإن مدعي الحقيقة قد أقام الدليل العقلي والسمعي على إرادة الحقيقة-

Manhaj al-Imam Ibn Abi al-Ezz (p. 74) Al-Sawaaq Al-Mursalat on Al-Jahmiyyah and Mu'atalah Laban Qayyim al-Jawziyah Library Mishkat (1/65) Fourth, the answer to the opponents, the claimant of the truth has established the mental and auditory evidence for the will of the truth.

(26) شرح العقيدة الطحاوية ص: 351-

Sharha Al-Aqeedah Al-Tahawiyyah (p. 351)

(27) شرح العقيدة الطحاوية ص: 351-

Sharha Al-Aqeedah Al-Tahawiyyah (p. 351)

(28) منهج العلامة ابن أبي العز و آراءه في العقيدة، ص: 75-

Manhaj al-Imam Ibn Abi al-Ezz al-Hanafi and his guidance in al-Aqeedah. (p. 75)

(29) نفس المرجع.

Ibid

(30) منهج ابن أبي العز ص: 72-

Manhaj Ibn Abi Al-Ezz, p. 72

(31) منهج العلامة في العقيدة، شرح العقيدة الطحاوية ص: 210-

Manhaj al-Imam in al-Aqeedah, Sharha Al-Aqeedah Al-Tahawiyyah (pg. 210)

(32) شرح العقيدة الطحاوية للعلامة الميداني الحنفي، دار الفكر دمشق سوريا، ودار الفكر المعاصر بيروت لبنان ص: 73:

Sharh al-Aqeedah al-Tahawiyah by Allama al-Midani al-Hanafi, Dar Al-Fikr Damishq , Syria, and Dar Al-Fikr Al-Moasr, Beirut, Lebanon, p.: 73:

(33) نفس المرجع

Ibid

(34) نفس المرجع

Ibid

(35) ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، الإحكام في أصول الأحكام، دار الآفاق الجديدة، بيروت (1/ 42)

Ibn Hazm Abi Muhammad Ali bin Ahmad bin Saeed bin Hazm Al-Andalusi Al-Qurtubi Al-Zahiri (deceased: 456 AH), Al-Ehkam fi Usul Al-Ahkam,. Publisher: Dar Al-Afaq Al-Jadida, Beirut (1/42)

(36) عبد الله بن يوسف بن محمد بن حنوية الجويني، أبو محمد (المتوفى: 438هـ)، رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في

القرآن المجيد، المحقق: أحمد معاذ بن علوان حقي الناشر: دار طويق للنشر والتوزيع - الرياض الطبعة: الأولى، 1419هـ 1998م ص: 75-

Abdullah bin Yusuf bin Muhammad bin Haywayh Al-Juwayni, Abu Muhammad (deceased: 438 AH), Risala fi Isbat Al-Istewa wal-Fawqyya wa Masalat-ul- Harf waa-Sawt fil Quran Majeed, investigator: Ahmed Moaz bin Alwan Haqi. Publisher: Dar Tuwaiq Lilnashr wa-Tuzaigh - Riyadh Edition: First, 1419 AH 1998 AD, p.: 75.